الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

خطبة الجمعة بعنوان

الفساد والإفساد

بتاريخ/ ١٥ جمادى الأولى ١٤٤٤ هـ ٩ - ١٢ - ٢٠٢٢

خطبة الجمعة

((الفساد والإفساد))

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله عَزَّوَجَلَّ وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون:

أصلح الله الأرض فأرسل الرسل وأنزل الكتب وبين الحجة وأوضح المحجة وأمر العباد بالطاعة والانقياد ونهاهم بشتىٰ الطرق عن الفساد والعناد ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦]

وأعظم فسادٍ وجد في الخليقة علىٰ وجه البسيطة الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وقد سمىٰ الله تعالىٰ المشرك مجرما وأي جريرةٍ أعظم من هذه الجريمة التي هي متعلقة بحق الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: ٧٤-٧٥]

ومتىٰ سلم المرء من منحدر الشرك وفساده فليحذر من مزلق البدعة والمعصية والبدعة أحب إلىٰ إبليس من المعصية لأن المبتدع يزين له الشيطان سوء عمله فيراه حسنًا فلا يوفق للتوبة غالبا وأما العاصي فيدرك جرأته علىٰ الذنب وجنايته علىٰ الإثم ولعل هذا الهاجس يحدوه إلىٰ التوبة والأوبة بعد توفيق الله له في يقظة القلب والابتعاد عن الذنب والعبد الموفق من تجنب هذه العوائق الثلاث التي تعيقه عن العبودية لله والتي تعيقه عن الوصول إلىٰ المصلحين المتقين يظن بعض الناس أن السلامة من الفساد أن لا يسرق مالًا أو لا يشتم فلانًا بل إن أعظم الفساد الشرك بالله وإن من الفساد مخالفة ومجانبة هدي محمد ﷺ في الشرعة المطهرة.

أيها المباركون:

إن من جملة أنواع الفساد التي باتت اليوم تهدد المجتمعات والأُسر والأفراد انحراف القيم والأخلاق ومن حكمة اللطيف الخبير أنه سبحانه حرم الرذائل والمنكرات ونهىٰ

عن الدخول في أوحال الذنوب والخطيئات وأعلموا أن فساد الإنسان في نفسه في فرده فسادٌ في لبنة البناء وفساد الأسرة فسادٌ في جهة المجتمع وفساد المجتمعات فسادٌ للدول وهدمٌ لها ومتىٰ ما رأيت المجتمع من حيث جملته سالكًا سلوك الفضيلة نائيًا عن طرق الرذيلة فإن نظامه مكتمل وبنيانه مشدود وأركانه قوية ومتىٰ ما رأيت عكس ذلك فإنك ستجد انتكاس الفِطر والأخلاق يفسد الإنسان تفسد الأسر تفسد المجتمعات تتغير الشعارات يصبح الشذوذ حرية ويصبح القيم الدنيئة قيمًا عاليةً وتصبح القيم العالية الرفيعة قيمًا دنيئةً لماذا؟ لأن الفرد لما فسد تُرك والأسرة لما فسدت تُركت ووصل الأمر إلىٰ فساد المجتمعات فرُفعت مختلف أنواع الشعارات تحت شعاراتٍ براقة وألوانٍ جميلةٍ حسنةٍ وأسماء قد تأخذ بالآذان ويصدقها بعض الناس يقول ﷺ محذرًا من فتن تكون لا سيما في آخر الزمان كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: ستكون فتن [مو هو فتنة فتن] القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي، كناية عن المشاركات التي تكون في مثل هذه الأنواعِ من الفساد والمنكرات من المعاصي وسوء الأخلاق والبدع والشركيات، من تشرف لها [مجرد نظر إطلاع فتح باب يضرب أيقونةً] من تشرف لها تستشرفه [أي من تعرض لها تهلكه] فمن وجد منها ملجأً أو معاذًا فليعذ به" [رواه البخاري ومسلم]

وفي بعض الروايات من علامات نبوة نبينا محمد ﷺ قال: وعلىٰ جنبتي الصراط أبوابٌ عليها ستورٌ مرخاه عن يمين الصراط وعن شمال الصراط وعلىٰ كل باب منها داعٍ يدعوا أن يا عبد الله لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه.

أيها المؤمنون:

إن صلاح العبد بقدر صلاح قلبه بقدر صلاح قلبك قربك من الله عَزَّوَجَلَّ وقرب العبد من الله مرتبطٌ بتركه أنواع المفسدات ومتىٰ ما فسد ملك البدن فإن يؤدي إلىٰ فساد الرعية ولذلك ينبغي علىٰ الإنسان أن يحذر فساد ملك الجوارح القلب فإن النبي ﷺ قال: ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" [متفقٌ عليه]

ولنعلم جميعًا أنه متىٰ ما كان القلب فاسدًا أو العمل فاسدًا ترتب علىٰ ذلك فساد العمل المبغوض عند الله ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥]

ويترتب علىٰ ذلك بغض الله للفاعل ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤]

ومتىٰ ما أراد الله تعالىٰ هداية عبدٍ أصلح قلبه ووفقه وأصلح عمله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن﴾ [البقرة: ٨] كما قال الله: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]

وأي فسادٍ أعظم في إهلاك الحرث والنسل من سعي العالم إلىٰ تقنين خُلُقٍ رذيلٍ يترتب عليه فسادٌ في النسل وانقطاع للبشرية ولذلك ينبغي علىٰ الإنسان أن يتأمل في هذه الآية: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴿٢٠٥﴾﴾

والفساد ظاهر كما أخبر الله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١]

أما في البر فكان الناس يتصورونه، أما في البحر فلم يكونوا يتصورونه كيف يقع الفساد في البحر ما علموا أنها ستكون مدنٌ متنقلةٌ في البحار يقودها أصحاب الأخلاق الفاجرة وأصحاب الأخلاق الدنيئة السيئة خمورٌ وطبولٌ وشذوذٌ ولواط وزنا في البحر: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾

﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴿١٢﴾﴾ [الفجر: ١٢] فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴿١٣﴾﴾ [الفجر: ١٢-١٣]

فاحذر يا عبد الله ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢]

وربك جَلَّ وَعَلَا أعلم بالمفسدين وإذا كان الإنسان لا يتعظ لا بقوم لوط، ولا بقوم فرعون، ولا بقوم شعيب، ولا بقوم صالح ولا بقوم هود فليحذر أن العاقبة عليه فربك يقول: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴿١٠٣﴾﴾ [الأعراف: ١٠٣]

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين له الحمد الحسن والثناء الجميل وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يقول الحق وهو يلي السبيل وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن سار علىٰ نهجهم إلىٰ يوم الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨]

أما بعد أيها المؤمنون:

إن مقاومة الفساد في الفرد وفي الأسرة وفي المجتمع مسؤوليتنا جميعًا رجالًا ونساءً أفرادً ومؤسساتٍ حكامًا ومحكومين وفق الضوابط الشرعية والآداب المرعية ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ [هود: ١١٦] أي جماعة ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾

وتقرأون قصة أصحاب السبت وأن الله نجىٰ الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وأهلك المفسدين وأهلك الساكتين والنبي ﷺ يقول كما في حديث الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه" [رواه أحمد وصححه الألباني]

كيف لا ينكر الناس المنكر؟ يأتون بشعارات براقة يزينون للناس ترك إنكار المنكر حرية ديموقراطية تحت مسمياتٍ ربما تكون محبوبة عند البعض أعلموا عباد الله أن علاج الفساد يبدأ بإصلاح المرء نفسه فإنه قدوة الأسرة ومتىٰ ما صلح صلحت الأسرة وإذا صلحت الأسر صلحت المجتمعات فمن أين يأتي الابن والبنت لا سيما مع وضع وسن قوانين تحفظ الأسر والمجتمعات وتمنع المنكر وسوء الأخلاق وفشوها وانتشارها ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]

وربنا سبحانه يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]

وأتيت مرةً إلىٰ مسجد النبي ﷺ وكان ذلك يوم الجمعة بعد صلاة العصر إلىٰ أحد مشايخنا فلما رآني كبر وهلل قال: أما رأيت الشيخ فلان قد أنكر منكرًا أبرأ ذمتنا والله يفرح العبد إذا رأىٰ إنسانًا ينكر المنكر بالضوابط الشرعية: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]

فأوجد في المسلمين وفي المؤمنين من يدافعون المنكرات وينشرون حسن الأخلاق بين المجتمعات.

والواجب تظافر الجهود لنصل إلىٰ المقصود من صيانة الأمة والذب عن الملة فالمركب واحد والمصيرُ واحدٌ فعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: مثل القائم علىٰ حدود الله والواقع فيها كمثل قومٍ استهموا علىٰ سفينةٍ فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا علىٰ من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن أخذوا علىٰ أيديهم نجوا ونجوا جميعًا" [رواه البخاري في صحيحه]

اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ونبيك محمد وعلىٰ آله وأصحابه الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وأزواجه الطاهرين وأصحابه أجمعين وآله بيته يا رب العالمين اللهم أعنا علىٰ حمل الأمانة وجنبنا الغدر والخيانة اللهم أصلحنا وأصلح بنا وأجعلنا هداةً مهتدين اللهم أبعد الفساد والمفسدين عن بيوتاتنا وعن أسرنا ومجتمعاتنا اللهم أجمع علىٰ الحق كلمتنا وأجعل في طاعتك قوتنا وألف بين قلوبنا وسدد ألسنتنا اللهم أغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات اللهم وفق أمير البلاد لما فيه صلاح العباد والبلاد اللهم وأجعل ما أنزلته من الغيث نفعًا للعباد ونفعًا للحاضر والباد اللهم أجعل هذا البلد آمنًا مطمئنا سخاءً رخاء وسائر بلاد المسلمين ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ٩٠﴾ [النحل: ٩٠]

فاذكروا الله الجليل يذكركم وأشكروه علىٰ نعمه يزدكم ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٥]